Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى هذه الحياة التى عاشها مع الخنساء ، والتى يرجح أنها كانت قصيرة لا تتعدى بضعا قليلا من السنين لم يعرف له حدث أو موقف يبعث على رضا ، وإنما عرف عنه ما يبعث على السخط عليه ، والنفور منه .

وأما عن فقدانها الجانب الآخر وهو الراحة المعيشية ، فإن خيبة أملها فيها كانت أشهر من الخيبة الأولى ، فمما لا تختلف عليه الروايات أنها بلغت بها الحاجة مع زوجها رواحة إلى اللجوء إلى أخيها صخر مراراً ليواسيها من ماله بما يدفع عنها ضنك المعيشة ، وفى هذا أكثر من جانب فى المشقة النفسية التى لا بد أن الخنساء حملت عبئها بسبب زوجها ، فإن احتمال ضيق المعيشة عبء نفسى ثقيل ، ولكن الاضطرار إلى اللجوء إلى الغير ولو كان أخاكما لجأت الخنساء إلى صخر كثيراً هو عبء آخر أشد ثقلا ، خصوصا إذا صاحبه ما يزيد النفس ألماً ، كنفسية الخنساء بما فيها من عزة وإباء ، وكتلك الشوائب المؤذية للنفس حين تصاحب العطاء ، من مثل ما تروى الروايات من أن زوج صخر كانت تلومه على كثرة عطائه للخنساء ، ولا نستطيع أن نقول إن مثل هذا لم يكن يؤذى نفس الخنساء إن لم يكن يملؤها مرارة ، كما أننا لا نستطيع أن نقول إن هذا الذى يبغه نحن بعد عشرات الأجيال لم يكن يبلغ أذن الخنساء وهى على بعد خطوات .

وإذن فقد كانت خيبة أمل الخنساء فى زواجها كاملة .

ولكن هذه الخيبة على ثقلها فى نفس الخنساء لم تكن الخيبة الوحيدة فى حياتها وإنما كانت لها أكثر من شقيقة ، ومن هذه الخيبات المرة فى حياتها خيبة أملها فى مجد أسرتها ، فلنا أن نتصورها من خلال الروايات فتاة مطبوعة على العزة والاعتداد بالنفس ، تفتح عينيها على الحياة فى أسرة لديها كل ما ينمى هذه الطبيعة فى نفسها ، ويبعث على ترعرعها ، لديها مجد راسخ الجذور ، متمثل فى مجد الأب ، ثم الأسرة ، ثم القبيلة ، حين ترجع بنظرتها إلى الوراء ، وقد أتاحت لها هذه الجذور الراسخة أن تطلق لطبيعتها عنان الخيال ، فى أن ترى هذه الجذور وقد امتدت منها فروع شامخة فى الفضاء ، وقد شاء لها الحظ الحسن ، أو الحظ السئ بالقياس إليها أن ترى هذه الأمنية فى بدء حياتها حقيقة واقعة ، وليس خيالا وأمانى ، فإن هذه الجذور لم تنبت فرعا واحدا ، وإنما أنبتت ثلاثة فروع كان يمكن أن تجعل من هذه الشجرة بمنطق البيئة أعظم شجرة تنبت فى أسرة واحدة ، فى طول القبائل العربية وعرضها .